المجتمع الندرومي خلال الفترة الاستعمارية، دراسة في العادات والتقاليد

Nedromi society during the colonial period, a study of customs and traditions

1– صبرينة الواعر*، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة (الجزائر)

louaar.sabrina@ensc.dz

تاريخ الاستلام: 2021 /05/02 تاريخ القبول: 2021 /05/15 تاريخ النشر: 2021 /06/30

ملخص

تعد مدينة ندرومة من أهم المدن الجزائرية، وهذا راجع لتاريخها العريق وتراثها وحضارتها، وقد ازدادت بريقا وشهرة أيام عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحدية الذي يعود أصله إلى قبيلة كومية، التي تعد ندرومة فرعا من فروعها، مما جعلها من أبرز المقاطعات الموحدية وقد تقاسمت ذلك مع أهم الحواضر في ذلك العصر وهي حاضرة تلمسان.

لم تفقد مدينة ندرومة شهرتها ومكانتها التاريخية بل حافظت عليها وهذا ما لمسته السلطة الفرنسية التي سيطرت عليها سنة 1842م، وذلك من خلال طابع المدينة العمراني، والمعاملات اليومية، والعلاقات الاجتماعية بين السكان والتي ظلت على حالها ولم تتغير مع تغير الزمن. أثار هذا الأمر فضول الرحالة والمؤرخين الفرنسيين والأوروبيين وأسال حبرهم فنقلوا لنا صورا حية عن المجتمع الندرومي في الفترة الاستعمارية. ونحن نهدف من خلال هذه الدراسة لإيضاح السمات الرئيسية للمجتمع الندرومي خلال الحقبة الاستعماري بالتركيز على أنماط حياته من عادات وتقاليد باعتبارها القاعدة الأساسية في بناء أي مجتمع كان.

كلمات مفتاحية: التركيبة السكانية، المسكن، الغذاء، اللباس، الأعياد والاحتفالات الموسمية.

*- المؤلف المرسل

Abstract :

The city of Nedroma is one of the most important cities in Algeria, owing to its long history, heritage and civilization. It has become more prominent and more famous in the days of Abdel-Moumin Ben Ali,. The city of Nedroma has not lost its fame and historical status, but has maintained it. This has been felt by the French authority that dominated it in 1842, through the character of the urban city, daily transactions, and social relations among the inhabitants, which have remained the same and have not changed with the change of time. This prompted the curiosity of French and European travelers. Through this study, we aim to illustrate some of the key features of Nedromi society during the colonial era. What are the characteristics of Nedromi Society?

Keywords: Demographics; housing; food; dress; holidays and seasonal celebrations.

- **مقدمة**

إن معظم الدراسات التاريخية التي اهتمت بتسليط الضوء على الحياة الاجتماعية للحواضر الجزائرية سواء كان ذلك في الفترة الفرنسية أو قبلها؛ أكدت على أن هذه الحواضر كانت فسيفساء من عناصر إثنية وعرقية مختلفة، ساهم في رسمها عوامل كثيرة، من أبرزها تاريخ المدينة، وموقعها الجغرافي، زد على ذلك العامل الاقتصادي الذي كان المحرك الفعلي لنشاط أي مدينة، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن موضع مدينة ندرومة ومدى مطابقتها لحال الحواضر الأخرى، وذلك لاعتبارات عدة ، أهمها أنّها كانت حاضرة لا تقل أهمية عن جارتها تلمسان، نظرا لغناها التاريخي والحضاري، يكفي أنها كانت حاضرة عبد المؤمن بن على مؤسس دولة الموحدين؟

1. التركيبة السكانية للمجتمع الندرومي

1.1الندروميون بين الأمازيغية والعروبة:

تتموضع مدينة ندرومة التي اشتهرت بهذه التسمية أيام الموحدين فوق مدينة أخرى قديمة وهي مدينة فلاوسن نسبة إلى جبل قبالة ندرومة -لا زال يحتفظ باسمه لحد الآن- وتبعد حوالي 77 كلم عن تلمسان. وفلاوسن مصطلح أمازيغي يشتمل على على كلمتين "أفلا" ومعناها أعلى و"أوسن"

ومعناها قرية وإذن فمعنى "فلاوسن" أعلى قرية، وهذا ما يؤكد فرضية أن سكان ندرومة كانوا من البربر، وحول هذا الشأن قال ابن خلدون[1]:".. وندرومة هو اسم قبيلة بربرية متفرعة من قبيلة كومية[2] والتي بدورها بطن من بطون فاتن القبيلة البربرية الكبرى".

وعلى الرغم من أن مدينة ندرومة هي إقليم بربري مع ذلك عرفت في الدراسات التاريخية على أنّها حاضرة عربية؛ ذلك أن سكانها اتخذوا اللسان العربي وسيلة للتواصل، فصاروا بذلك قبائل مستعربة على غرار قبائل كثيرة في القطر الجزائري، وهذا الأمر لا يعد غريبا نظرا للتصاهر والتلاحم الذي حدث بين البربر والعرب بعد الفتح الإسلامي، كما أن موقع مدينة ندرومة الجغرافي القريب من الحدود المغربية التي عرفت قيام دولة الأدارسة (172-223هـ/788-835م) ساعد على نشر الثقافة واللغة العربية[3]، والتي صارت على نطاق واسع، بعد هجرة أهل الأندلس إلى الشمال الإفريقي أيّام الأدارسة وتواصل توافدهم بعد سقوط غرناطة عام 1492م طيلة القرين 16 و17 م، ومدينة ندرومة لم تكن بمنأى عن تلك الهجرات فقد أستقر عدد كبير من أهل الأندلس في الغرب الجزائري في المحور الرابط بين وهران وتلمسان[4].

يضاف إلى ذلك هجرات القبائل البدوية الهلالية التي غزت الشمال الإفريقي مع بدايات القرن 11م، وانتشرت في القطر الجزائري عابرة الأوراس والحضنة والونشريش، وكان آخر مستقر لها غرب وجنوب غرب الجزائر، وقد ساهم احتكاكها مع القبائل في المقاطعات السابقة الذكر في نشر اللغة

---

[1]- ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 11، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (د.ط) ، بيروت، لبنان،1971.

[2]- كومية: كانوا يعرفون قديما بصطفورة أو صدفورة، ولهم ثلاثة بطون منها تفرعت قبائلهم، وبطونهم هي: ندرومة، وصفارة، وبني يلول، وكانت مواطنهم الأصلية بجبال ترارة الواقعة على سيف البحر شمال غرب تلمسان. انظر. عبد الوهاب ابن منصور، **قبائل المغرب**، ج1، المطبعة الملكية، المغرب، 1968، ص309.

[3]- سعدون عباس نصر الله، **دولة الأدارسة في العصر الذهبي**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1987، ص 131-132.

[4] -E F Gautier , " répartition de la langue berbère en Algérie ", In : **Annales de Géographie**, T.22, N° 123, p 264.

العربية[1]، وتغليبها على اللهجة الأمازيغية وبخاصة في منطقة الغرب الجزائري، حيث اعتمدت القبائل اللغة العربية واكتسحت معظم هذه المنطقة الجغرافية ما عدا موضع إقامة قبيلة بني سنوس شمال وجنوب لالة مغنية بتلمسان[2].

كما ساهم الطابع الاجتماعي لقبائل ترارة، التي اعتمدت الاستقرار نمطا لمعيشتها، في خلق اتصالات وعلاقات بالحواضر المجاورة لها، وكان من أهمها مدينة تلمسان، التي كانت مركز استقطاب للعرب وأهل الأندلس، مما ساهم في تغليب الثقافة العربية، ونشرها في المناطق المجاورة. وسرعان ما حصل احتكاك وتقارب بين العناصر البربرية والعربية وكذا المورسكية، فانصهروا وصاروا يعبرون عن فئة واحدة وساهم في ذلك اعتمادهم ثقافة خاصة وهي ثقافة الإقامة داخل المدينة التي جعلتهم من الحضر بغض النظر عن أصولهم.

كما عرفت مدينة ندرومة جالية مغربية لا بأس بها وذلك منذ زمن الموحدين، وبرز ذلك في ألقابها المشتقة من أسماء القبائل المغربية، فعلى سبيل المثال عائلة زرهوني وهي من العائلات المشهورة في مدينة ندرومة، من قبيلة الزراهنة من مكناس، وعائلة غماري من قبيلة غماراس في الريف المغربي، وعائلة صمود من مصمودة من الأطلس المغربي وعائلة صنهاجي من قبيلة صنهاجة نواحي فاس[3]، واستمر التوافد المغربي على ندرومة حتى مجيء الفرنسيين، الذين باشروا برسم وتحديد الحدود بين الجزائر والمغرب بعقد معاهدة لالة مغنية 18 مارس 1845 مع السلطان المغربي وبالتالي تم الفصل بين القبائل، التي كانت في السابق تتنقل عبر الحدود دون أي حواجز تذكر[4].

إنّ الطابع الحضري لسكان ندرومة هو الذي أوجد فارقا بينهم وبين القبائل المجاورة، ومحا فكرة أنهم من البربر، فقد ألف الندروميون حياة الاستقرار واتخاذ المساكن، على الرغم من أصلهم القبلي، الذي يربطهم مع القبائل المحيطة بهم، كقبائل بني منير، بني مسهل، بني عابد، بني خالد، وجبآلة، وهي

---

[1] – Ibid., Idem.

[2] – Ibid, p 259.

[3] – Paul le sept, "Nedroma cité berbère", In **Tlemcen et ses environs ; guide illustré de tourisme**, Editeur A. Thiriat, 2eme Ed, SD, p 147.

[4] – عبد الرزاق الصديقي: "اتفاقية لالة مغنية وملابساتها"، **بحوث**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج 14، ع 09، المحمدية، 2001، ص 09.

كلها قبائل رعوية بدوية. لذلك لا نتفاجئ حين نعلم أنّ الندروميين يطلقون مصطلح قبايل على المجموعات السابقة الذكر[1].

2.1 يهود ندرومة :

شهدت مدينة ندرومة وجودا يهوديا معتبرا وهذا عبر فترات مختلفة، أبرزها بعد سقوط دولة المسلمين في الأندلس، والطرد اليهودي منها أواخر القرن 15م، وبدايات القرن 16م؛ فقد استقبلت ندرومة وفودا يهودية كبيرة على غرار المدن المجاورة، كوهران و تلمسان، هذا من جهة ، كما لا يستبعد وجود عناصر يهودية من السكان الأصليين للمدينة من جهة أخرى، ذلك أن إقليم ترارة عامة وندرومة بصفة خاصة؛ برزت فيه ملامح ثقافة يهودية، تجسدت من خلال التسميات العبرية التي أطلقت على أماكن متعددة، تقع بين ندرومة والبحر الأبيض المتوسط، فعلى سبيل المثال، في إقليم بني منير يوجد مكان يسمى رأس نوح cap noé، وكذلك حوض سيدنا يوشع، ومنطقة أخرى تعرف بأولاد داود، إلخ...[2] وهذا يثير استفسارات عدّة لا توجد عنها إجابات لحد الآن، لكن يرجح وجود قبيلة يهودية قديمة قد سكنت المنطقة قبل الفتح الإسلامي[3].

أما عن أصول يهود ندرومة، فالمرجح أن أغلبهم قد جاءوا من المغرب الأقصى؛ حيث يذكر رينه باسي René Basset أنّ اليهود الذين سكنوا ندرومة قدموا إليها أواسط القرن 18م من منطقة مكناسة المغربية[4]. مع ذلك لا يجب إغفال فكرة نزوح عدد كبير من يهود الأندلس إلى الشمال الإفريقي، وقد استقبلت الجزائر أعدادا كبيرة منهم استقرت في مختلف المدن الجزائرية، كالجزائر العاصمة، وملیانة والمدية، لكن نسبة كبرى من اليهود اتجهت صوب مدن الغرب الجزائري، كمعسكر ووهران وتلمسان، وقد ساهم في ذلك سياسة محمد الكبير باي وهران الذي اتسمت بالتسامح الديني والليونة تجاه هذه الأقلية، فقد منحهم أراضي بالمجان لجعلها مقابر تخص طائفتهم، وباعهم أراضي بأبخس الأثمان لبناء

---

[1] – Gilbert, Grandguillume : **Nedroma l'évolution d'une médina**, E. J.Brill. Leiden, Netherlands, 1976, p 146.

[2] – René Basset, **Nedromah et les Traras**, Ernest Leroux, Paris, 1901, p 08.

[3] – Paul Le Sept, Op.Cit, p147.

[4] – René Basset, Op.Cit, p 7.

مساكن لهم[1]. أما بالنسبة لمدينة ندرومة، فقد استقبلت على غرار المدن المجاورة أعدادا من اليهود، مع أنّ حاكمها رفض في البداية استقبالهم داخل المدينة ولكن سمح لهم بالمكوث خارجها، والاستقرار قبالة جبل-فلاوسن- بالقرب من سطح الكاف، الذي يقع عند سفح الجبل المذكور، والذي صار يعرف من يومها باسم درب اليهود[2].

وقد ظل اليهود خارج مدينة ندرومة لمدة طويلة من الزمن، بعدها سمح لهم بدخول المدينة حيث استقروا في شارعين رئيسيين بها ، هما شارع القناوة، أين أقيم حاخام صغير للعبادة، وشارع الخربة ، الذي أسس به معبد يهودي كبير خلال الفترة الاستعمارية، كما أجريت به توسعات، وثم فتح مدرسة دينية يهودية.

سرعان ما استوعبت ندرومة هذه الأقلية اليهودية، والتي بدورها تأثرت بثقافة وعادات المدينة، وقد برز هذا في أسماء العائلات اليهودية في حد ذاتها، والتي لا تمت بصلة للألقاب العبرية المتعارف عليها، فأغلب الألقاب اليهودية في مدينة ندرومة كانت ذات مدلول عربي، كما أنها شبيهة لأسماء المسلمين، على غرار لقب بن عيون،بن دنون، بوعزيز، بن حمو. فئة قليلة فقط من اليهود حملت ألقابا عبرية كعائلات: ليفي، عزيزة، حزيزه، شقرون، بتان، صبان، بالإضافة إلى بعض اليهود من إسبانيا وأسماء عائلاتهم تدل عليهم كـ: مرسيانو، بيريز...[3]

أمّا بالنسبة لعادات يهود ندرومة؛ فهي لا تختلف كثيرا عن عادات سكانها المسلمين، وبإمكاننا القول أنّ اليهود قد انصهروا في المجتمع الإسلامي من حيث اللباس والعادات اليومية.

كما كانت اللغة العربية هي اللغة المتداولة من طرف يهود ندرومة، وكذا معظم يهود الجزائر في تلك الفترة، لكن مع بعض الخصائص أشار إليها وليام مارسيه William Marçais في كتابه حول لغة أهل تلمسان، فحرف الكاف في اللغة العربية ينطق عند اليهود بـ : تشا، كأهل العراق، فمثلا أوصيك، ينطقها اليهود أوصيتش، كما أنّ الألف المفتوحة تنطق ألف مكسورة عند اليهود، ففي منطقة

---

[1] -Jacques,Taieb , **sociétés Juives du Maghreb modern 1500-1900**, Maisonneuve & Larose, Paris, 2000, p78.

[2] - Emile Janier," Nemours et sa région" **In bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran** , T. 3&4 ,1949-1950, p29.

[3] – Eliayhu Rafael Marciano, **une nouvelle Séville en Afrique du nord ; histoire et généalogie des juifs de Debdou (Maroc)**, Elysée, 2000, p07-08.

الغزوات على سبيل المثال لا الحصر يقول اليهود إيمالا، وبهذه الاختلافات البسيطة يمكن معرفة يهود المنطقة[1]. ويضيف أندري شوراقي André Choraquiقائلا[2]:" فرضت اللغة العربية بصماتها العميقة في روح اليهود بشمال إفريقيا، والظاهرة الأكثر إثارة وبروزا في تعريب اليهود هو استعمالهم اللغة العربية في الأعياد والطقوس الدينية ولغايات صلواتية، حيث الكتاب المقدس في ترجماته العربية في المعبد، ولا يتردد رجال الدين واللغويون وحتى الشعراء في استخدام العربية لتعليم حقائق عقيدة إسرائيل".

زد على ذلك يضيف الكاتب اليهودي الجزائري الأصل ألبير بن سوسان Albert Bensoussan[3] ، قائلا[4]: بأنّ أباه في الثلاثينيات والأربعينيات (1930-1940) كان يترجم فوريا الصلوات والأدعية وما يتلى أثناء الطقوس الدينية بالوسط العائلي إلى اللغة العربية حتى تتمكن جدته العجوز من فهمها ومتابعتها، ويذكر في كتابه «أنّ جده كان يتكلم بالعربية ويوقع بالعبرية...وأنّه كان ينادي جدّه مسعود "بابا سيدي" على غرار العرب، وبأنّ أمه تدعى عائشة».

وقد بلغ عدد العائلات اليهودية بندرومة حسب إحصاء سنة 1867 حوالي 79 عائلة (340 فردا) تمتلك 50 مسكن، يشتغلون بالتجارة والصناعات الحرفية، كصناعة الأحذية، والمجوهرات، وبائعوا أسلحة، ونجارون[5].

---

[1] – W Marçais, **le dialecte arabe parlé à Tlemcen ; grammaire, textes et glossaire,** Ed. Ernest Leroux, Paris, 1902, p17-18.

[2] – André Chouraqui, **la Saga des Juifs en Afrique du Nord** , Paris, 1972, p 91.

[3] – ألبير بن سوسان Albert Bensoussan ولد في عام 1935 بالجزائر العاصمة ، حيث قضى شبابه، وهو ابن صاموئيل بن سوسان من مواليد الغزوات (نمور) عام 1890م، وأمه عائشة بن عيون وهي من مواليد مدينة ندرومة عام 1895 م .عمل كأستاذ مشارك في اللغة الإسبانية بالمدرسة الثانوية Bugeaud في الجزائر حتى عام 1961، ومساعد في جامعة السوربون في عام 1963 ، عمل أستاذا في جامعة رين الثانيRennes-II 1978 حتى 1995، تظهر الجزائر مرارا وتكرارا في أعماله ، وخصوصا فيما يتعلق بعالم اليهود والعرب الذي كان بمثابة خلفية لوحة زيتية على قماش معظم رواياته.

[4]– Albert Bensoussan, **L'Échelle de Mesrod ou Parcours algérien de mémoire juive**, l'Harmattan, 1984, p10.

[5] – J Canal, "monographie de l'arrondissement de Tlemcen Nedroma et les pays des Traras", In : **BSGAO**, T.7, octobre-décembre1887, p 264.

3.1 القناوة:

عرفت مدينة ندرومة قدوم فئات أخرى من الميزابيين والزواوة والعبيد السود[1]. وعدد هذه الفئات الأخيرة قليل بمدينة ندرومة وأغلبيتها جاءت من الريف، وهي فئة فقيرة تمارس أعمالا بسيطة كنقل المياه والعمل بالبساتين، والمقاهي، والمحلات التجارية، وهم يعرفون بالبرانية، ويمارسون أيضا أعمال البناء وخصوصا فئة السود[2]، أو القناوة كما يعرفون في المنطقة، وجلهم وفدوا من السودان، ويعود تاريخ تواجدهم بالمنطقة إلى عهد المرابطين الذين وطدوا علاقاتهم التجارية مع إقليم السوس، وشجعوا التبادل التجاري[3]، وعددهم لم يكن كبيرا في ندرومة ونفس الشيء في حاضرة تلمسان، ويشتغلون في المهن البسيطة وكخدم في المنازل، يدينون بالإسلام ويتكلمون العربية، لكن في احتفالاتهم الدينية يستخدمون لهجاتهم السودانية[4]. وبالرغم من نقص عددهم في مدينة ندرومة والذي انعدم بعد عام 1930، غير أن شارع من شوارع ندرومة سمي باسمهم، وهو شارع القناوة، ويفسر هذا الأمر بنشاط القناوة الديني، فقد كان لهم طريقة صوفية بندرومة أسسها شيخهم سيدنا بولال بوحمامة[5].

2. عادات وتقاليد سكان مدينة ندرومة

في الواقع؛ إنّ عادات وتقاليد سكان مدينة ندرومة لا تختلف كثيرا مع مثيلاتها من حواضر منطقة ترارة، وبالأخص تلمسان، كما أن جزءا كبيرا من تلك العادات يمتد لاغيا الحدود الجغرافية بين الغرب الجزائري والمغرب الأقصى، بفعل التقارب الجغرافي ووحدة التاريخ.

---

[1] – تواجدت هذه الفئة بكثرة بمدينة تلمسان دون غيرها من المدن، وهي قدمت من توات والسودان.

[2] – أندري نوشي وإيف لاكوست، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، المطبوعات الجامعية،(د.ط)، باريس، 1960، ص204.

[3] – ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس، ج.4، الدار العربية للكتاب ودار الثقافة ، ط 3، بيروت،1983، ص ص 07-10.

[4] –Alfred Bel ," Nedroma", In : **Encyclopédie de islam; dictionnaire géographique et ethnographique et biographique des peuples musulmans** T.4, librairie Klincksieck, Paris, 1934, p 960.

[5] – Gilbert Grandguillume, Op.Cit, p157.

1.2. المسكن الندرومي:

تشتهر منطقة ترارة الجبلية بمنازلها الحجرية البسيطة، ذات السطوح، وهذا يوضح طابع الاستقرار لدى قبائل المنطقة، التي تعد ندرومة مركزا لها.

لكن أغلب الدراسات التي أجريت حول المنطقة سواء من قبل المختصين في المجال الحضري في الوقت المعاصر، أو الرحالة الفرنسيين في السنوات الأولى من الاحتلال؛ اتفقت على أن المسكن الندرومي رغم بساطته إلاّ أنّه يتصف برفاهية لم تعرفها مساكن القبائل المجاورة، وقد استند الطرفان (الحضريون والرحالة) على التأثير الموريسكي باعتبار أن أغلبية كبيرة من سكان ندرومة هم من أصول أندلسية. كما أن ندرومة عرفت كحاضرة منذ عهد المرابطين، وقد برزت خصائصها العمرانية من مسجدها الشهير المسجد الكبير ، ومنارته العظيمة، وصحنه الجميل الذي يعكس ثقافة محلية على قدر كبير من الأهمية[1].

أما بالنسبة للطابع العمراني للمساكن الندرومية فلا يختلف كثير –على الأقل- مع جارتها مدينة تلمسان، فهي في مجملها مساكن متلاصقة ومتقاربة فيما بينها، وشكلت ما يشبه حلقات تحيط بالمسجد الكبير، الذي كان مركزا للمدينة، وهذا هو الدارج في المعمار الإسلامي أن يتوسط المسجد المساكن، كما أنه في أغلب الأحيان يكون قريب من سوق المدينة[2]، كما هو حال مسجد مدينة ندرومة الواقع قبالة سوق الصوف[3].

كما تتميز المساكن الندرومية بانخفاضها ، أي ذات طابق واحد، رباعية الشكل أو مستطيلة مغطاة بسقف مفتوح في الوسط أو ما يسمى بالصحن حيث ردهة أو فناء المنزل، وهو القسم الوحيد الذي يضمن التهوية الجيدة للمنزل[4]، ويحيط بهذا الفناء غرف المنزل، وتتوسطه نافورة مياه من الرخام أو بئر

---

[1] - William Marçais & Georges Marçais , **les monuments arabes de Tlemcen**, ancienne librairie Thorin et fils, Paris, 1903, p38.

[2] – le Tourneau, **les villes musulmanes de l'Afrique du Nord**, La maison des livres, Alger, 1957. p21.

[3] –Djilali Sari, **les villes précoloniale de l'Algérie occidentale Nedroma, Mazouna, Kalaa**, SNED, Alger, 1970, p46.

[4] - J Canal , "monographie de l'arrondissement de Tlemcen Nedroma et le pays des Traras", In : **BSGAO**, T.6, Avril-Juin, 1886, p 97.

[1]بالإضافة إلى بعض النباتات والأشجار (العنب، وشجرة البرتقال) وهو ما كان دارجا عند العائلات الثرية، أما بالنسبة للعائلات الفقيرة فيقابل الفناء الحوش الذي كان مستقرا للدواجن والأنعام[2].

أما جدران المنزل الخارجية فجلها صماء لا نوافذ لها تجاه الشارع، إلا بعض الفتحات الصغيرة في أعلى الجدار، لا يمكن النظر من خلالها وهذا بحسب التقاليد الإسلامية، فقد كان عالم المرأة يقف عند حدود ردهة المنزل، ولا ترى السماء إلا من خلال ذلك الجزء الصغير المفتوح من السقف[3].

أما بالنسبة للدهان؛ فلم يختبر الندروميون على غرار أغلب الجزائريين في ذلك الوقت فن التلوين، واقتصروا على استعمال الجير كطلاء للجدران، مما أعطى لمدينة ندرومة صورة المدينة البيضاء[4]. وفيما يخص المواد المستعملة في البناء؛ فكانت مواد بسيطة تم جمعها من محيط المدينة، وتتمثل في الحجارة وبخاصة الغرانيت الذي يوجد بكثرة في منطقة ندرومة نظرا لطابعها الجبلي، وقد استعمله الندروميون في وضع أساسات المنازل[5]، بالإضافة إلى الحصى والطين والجير، والتوف (حجر مسامي)[6] وبعض النباتات وأكثرها استخداما خشب الأرز لبناء أسقف المنازل على غرار باقي مناطق ترارة[7].

وكذلك خشب العرعر الذي يتواجد بكثرة في الغرب الجزائري، ويعتبر المادة الأولية والأساسية في تسقيف المنازل عند الأندلسيين الذين انتشروا في مدن عديدة في الجزائر منها مدينتي ندرومة وتلمسان[8]. أما القرميد فلم يكن معروفا لدى الندروميين إلا بعد قدوم الأندلسيين، الذين أعطوا جمالية أكثر للمساكن وجلبوا معهم ثقافة المنزل ذو الطابقين، والسقف القرميدي الجملوني[9]،

---

[1] - Charles Géniaux, " Nedromah ", In :**Revue des deux mondes**, Février 1922, p 667.

[2] - Ibid, Idem.

[3] - Ibid, p671.

[4] - J.Canal, "monographie de l'arrondissement de Tlemcen, Nedroma pendant la conquête" In : **BSGAO**, T.7, 1887, p 268.

[5] – V Demotès , **Renseignements sur l'Algérie économique**, Paris, 1922, p120.

[6] - De Lorral, Op.Cit, p 338.

[7] - Augustin Bernard , **Enquête sur l'habitation rurale des indigènes de l'Algérie,** imprimerie orientale Fontana frères, Paris, 1921, p 69, & J.Canal, T.6, Op.Cit, p97.

[8] -Victor Legrand, **Mémoire sur les richesses forestières de l'Algérie**, imprimerie et librairie administratives de Paul Dupont, Paris, 1854, p 59.

[9] - Pierre Devambez , **Histoire de l'Art**, Gallimard, 1961, p1036.

بالإضافة إلى بناء السلالم الرخامية واستخدام الخزف[1] وكذلك بناء نافورات داخل المنازل، وجلب المياه إليها[2]. غير أنّ هذا التأثير الأندلسي لم يمتد صداه عبر كافة المساكن الندرومية بل اقتصر على عدد قليل منها، فقد بقي نمط المنازل البسيطة ذات السطوح هو الطابع الغالب في مدينة ندرومة[3].

أما بالنسبة للمنازل ذات الطابقين في ندرومة، فلم تكن ثقافة الأندلسيين وحدهم بل ساهم فيها صغر حجم المدينة واكتظاظ المنازل التي خططت بشكل أفقي، جعلها ملتصقة ببعضها البعض ذلك أن كل منزل منها كان ذا واجهة واحدة فقط تطل على الشارع، وباعتبار الدروب والشوارع في أغلبها ضيقة، ومع عدم توفر مساحات شاغرة، تحوّل تخطيط المدينة إلى الشكل العمودي، عن طريق بناء طابق علوي[4]، ولتفادي إمكانية رؤية منازل الجيران، يعتمد الندروميون بناء ما يعرف بالسترة؛ وهي جدار على قدر كافٍ من الارتفاع يبنى على سطح المنزل في الحد الفاصل بينه وبين المنزل المجاور، وهو أسلوب يطغى على الطابع العمراني الإسلامي[5].

تتميز شوارع ودروب ندرومة بالضيق والاعوجاج، فالمساكن والدور والقصور والمباني العامة جميعها تضم صحونا وأفنية وحدائق تنفتح على السماء والهواء وسبل الإنارة من الداخل وبالتالي تنتفي الحاجة إلى الشارع الفسيح الممتد، ومن هنا اقتصر اتساعه على ما يسمح بالحركة المرنة وبالمرور بلا عوائق.

أما بالنسبة لعدد المساكن في ندرومة، فرغم قلة عد اليهود مقارنة بعدد المسلمين في المدينة، غير أنهم امتلكوا مساكن أكثر من المسلمين، وهذا يعكس ثقافة المسلمين القائمة على مبدأ الأسرة الكبيرة المتلاحمة والمتماسكة. فحسب إحصاءات سنة 1867، فقد بلغ عدد يهود ندرومة 340 يمتلكون 70

---

[1] - Charles Géniaux, Op.Cit, p 667.

[2] - André Bazzana , **Maisons d'Al-Andalus ; habitat médiéval et structures du peuplement dans l'Espagne orientale**, T.1, Casa de Velazquez, 1992, p 189.

[3] - Augustin Bernard,Op.Cit, p 143.

[4] – محمد رابح فيسة، مرجع سابق، ص 82.

[5] – المرجع نفسه، ص 83.

منزلا أي بنسبة منزل لكل 4.8 يهودي، في حين بلغ عدد مساكن المسلمين340 منزلا ، وتعدادهم كان حوالي 2205، أي بنسبة مسكن لكل11.4 مسلم[1] .

وفيما يتعلق بالأثاث المنزلي، فقد غلبت عليه البساطة والعملية في آن واحد، ولا وجود لشيء من الكماليات، فمعظم المواد الفخارية لا تستعمل لأغراض الزينة، ولكن تستخدم إما للشرب أو الأكل، أو الطبخ، وهي مصنوعة في معظمها من الفخار.يضاف إلى ذلك بعض الزرابي الصوفية البسيطة، والتي يتم جلبها من أسواق المغرب الأقصى، أو صنعت محليا، تفرش في كل غرفة، مع بعض الأفرشة، وكذلك أغطية مصنوعة من النسيج الملون والبرّاق، وبعض الموزاييك البسيط الذي يخلو من الجمالية على الجدران المطلية بالجير الأبيض[2].

أما بالنسبة للأغنياء في المجتمع الندرومي، فقد كانت منازلهم على قدر كبير من الرفاهية، كما امتلكوا أواني نحاسية وزجاجية جميلة[3]، وصناديق خشبية للملابس[4]، وأغلبهم كانوا من العائلات الأندلسية التي احتفظت بمفاتيح منازلها القديمة[5] التي قالوا عنها أنها كانت قصورا، أجبروا على تركها بفعل الأسبان وأرغمتهم الظروف على السكن في منازل بسيطة لا أقفال لها[6].

وقد تأثر الندروميون بعد وقت بالأوروبيين، فعرف أثاث منزلهم بعض التطور، حيث اقتنوا أسرّة مصنوعة من معدن الحديد والنحاس، كما امتلكوا خزائن للأواني، لكنهم برعوا في صنع الكراسي من الحلفاء والصوف، والتي كانوا يجلون مادتها الأولية من قبيلة بني سنوس المجاورة، أو من قبيلة بني سناسن المغربية[7].

---

[1] – Marie Anne, Thumelin-Prenant , **Nedroma1954, étude urbaine, acte de la table ronde organisée par le CRIDSSH en Déc. 1983**, Nedroma, p 19.

[2] - Alfred Bel, Op.Cit, p31.

[3] - Charles Géniaux, Op.Cit, p 672.

[4] - De Lorral, Op.Cit, p312.

[5] – رفض سي محمد بن رحال وهو أحد أعيان ندرومة المشهورين هذه الرواية في حديث له مع الفرنسي جوزيف كنال زميله في الجمعية الأثرية والجغرافية لولاية وهران، ينظر J.Canal, Op.Cit, T.8, p262

[6] – Charles Géniaux, Op.Cit, p 670.

[7] - Alfred Bel, Op. Cit, p35.

2.2. الغذاء الندرومي:

بحكم الموقع الجغرافي لندرومة القريب من المناطق الساحلية كهنين والغزوات، وكذلك توسطها الطريق الرابط بين مدن المغرب الأقصى وتلمسان؛ اكتسبت خاصية تجارية واقتصادية، جعلتها تعيش رخاء وازدهارا قربها من المدن الكبرى كتلمسان، وانعكس ذلك إيجابا على الفرد الندرومي الذي لم يعاني من نقص المواد الغذائية والاستهلاكية مقارنة مع عدد كبير من الجزائريين في تلك الفترة، وبخاصة في المناطق الريفية[1].

يبدأ أهل ندرومة وترارة صباحهم، بشرب الحليب وبخاصة حليب الماعز، ويتناولونه سواء مع قطعة خبز من الشعير (كسرة) أو مع التين الذي كان يستهلك بكثرة في المنطقة[2] ، وكذلك القهوة مع كريات الكعك محلاه بالعسل[3].

يتم إعداد الغذاء بين الساعة 12 منتصف النهار، والواحدة بعد الزوال، وهو في الغالب مكوّن من عنصرين رئيسيين؛ وهما الخبز (الكَسْرَة) والجُوَازْ، وهو حساء مكوّن من أنواع مختلفة من الخضار، ويضاف إليه اللحم في بعض الأحيان.

أمّا الخبز؛ فيعد من الشعير[4]، والعائلات الغنية تعده من القمح، وتتكفل النساء الندروميات بإعداد الخبز في منازلهن، ونفس الأمر بالنسبة للعائلات اليهودية في المدينة، ولم يكن الأمر نفسه بالنسبة للعائلات الأوروبية التي سكنت المدينة والتي كانت تشتري الخبز من المخابز التي تمّ فتحها بمجيئهم. وظل الشعير هو المادة الأساسية في إعداد الخبز في ندرومة حتى وقت قريب من الاستقلال، حيث بدأ يختفي تدريجيا، ويحل محله القمح خاصة بعد انتشار دكاكين الخبازين بندرومة.

من أطباق الجواز كذلك: الفلفل المقلي، طبق اللحم المطبوخ مع الخضار والمرق، طبق البطاطا والطماطم، والفاصولياء(اللوبيا) والخرشف[5].

---

[1] - Ibid, p27.

[2] - J. Canal , T.6, Op.Cit, p 91.

[3] - Charles, de Mauprix,"six mois chez les traras", In **le tour du monde**, librairie Hachette & C, Londres, 1889, p 371.

[4] – اشتهر إقليم طرارة بالزراعات المعاشية وأهمها زراعة الشعير، ينظر J. Canal , Op.Cit, p 89.

[5] – Gilbert Grandguillum, Op.Cit, p91.

يضاف إلى هذه الأطباق التي يتناولها الندروميون طيلة السنة؛ بعض الأطباق الموسمية والشتوية كالفول مثلا والمعروف في تلمسان بالشرشم[1] ، وكذلك الحمص في فصل الشتاء. يعد الندروميون القهوة أو الشاي بعد العصر، وفي الغالب تكون جلسة نسوية حول المائدة، ويشاركهن الأطفال بتذوق ما بقي من طعام الغذاء، مع بعض الخبز[2] .

وفيما يخص طبق العشاء فيختلف حسب مستوى وعادات العائلات، ولكن عموما؛ فإن طبق العشاء قد يكون الكسكس (الطْعَامْ)، ولكن ليس على الدوام، نظرا لطول المدة التي يتطلبها لكي يكون جاهزا ولكي يكون لذيذا لا بد من توّفر اللحم. لذلك تتناول الأسر الندرومية على غرار باقي الأسر الجزائرية الكسكس المعد من الشعير ويعرف لدى الندروميين باسم أهكلهول[3]، والبلبول[4] في تلمسان.

ولا يختلف الأمر مع يهود المدينة، فالكسكس من أطباقهم الرئيسية، لكنهم يعدونه مع أجنحة الدجاج والبيض المسلوق[5].

وفيما يتعلق بالأسر الندرومية التي لا تعد طبق الكسكس؛ فتتناول مكانه طبق معد من الباذنجان، يعرف بالبْرَانية Braniya؛ وهو مؤلف من الحمص، الباذنجان، والبطاطا المقلية مع اللحم، ويعتبر كذلك من أشهر الأطباق لدى العائلات اليهودية[6].

يوجد طبق آخر يعد من البصل، والطماطم والبطاطا؛ يدعى طاجين تاع لبصل، وقد يكون من البصل والطماطم واللحم فقط، ويقلى في الزيت أو السمن. كما يتناول الندروميون كسكس محلى بالسكر ويسمونه السّفا Seffa، يتم إعداد هذا الطبق بالزبدة الطازجة، الحليب، السكر أو العسل مع القرفة، وبعض العنب الطازج، ويؤكل مع البطيخ الأحمر (الدلاع)، أو مع القهوة أو الشاي فقط، ومن جملة الأطباق التي يتناولها سكان ندرومة يوميا نذكر[7]:

- المسلوق؛ وهو طبق مكون من يقطينة تقطع إلى قطع صغيرة وتطبخ على البخار، ويضاف إليها الزيت، الفلفل الأحمر، الثوم، وفي آخر الطبخة يضاف الكمّون.

---

[1] - Alfred Bel, Op.Cit, p28 .
[2] - Gilbert Grandguillum, Op.Cit, p92
[3] - Ibid, Idem.
[4] - Alfred Bel, Op.Cit, p28 .
[5] - De Lorral , Op.Cit, p325.
[6] – Ibid, Idem.
[7] - Gilbert Grandguillum, Op .Cit, p 93.

- البسعارة وهي أكلة تشبه المسلوق، لكن الفول هو المادة الرئيسية عوض اليقطين، وتطبخ بكثرة في فضل الشتاء.

أما الأطباق الرسمية والخاصة فيتم إعدادها في المناسبات الكبرى؛ نظرا لما تتطلبه من ميزانية إضافية، نذكر منها[1]:

- لحم البرقوق: وهو من اللحم والبرقوق،ويسمى طاجين لحلو في الشرق الجزائري.
- لحم اللوز، ويعد من اللحم واللوز.
- لحم البصلة: لحم مطبوخ مع البصل والعنب المجفف؛ واللحم في أغلب هذه الأطباق يشوى على الفحم.
- طاجين المقلي: ومكون من ظلوع العجل، ويضاف إليها الزبدة، الزعفران، الملح، ويوضع في الفرن أو يشوى، وقلما يعد الندروميون هذا الطبق نظرا لما يتطلبه من لحم كثير.
- البكبوكا، وتعرف بنفس التسمية في تلمسان[2] (العصبان في الشرق الجزائري)، وهي معدة الخروف يتم ملؤها بالأرز وقطع صغيرة من الكبد بالإضافة إلى الكمون، ثم يتم خياطتها وتطبخ، وتؤكل مع الكسكس ومرق اللحم. كما يتناول الندروميون السمك الطازج من حين إلى آخر، وقد ساهم في ذلك قرب المدينة من البحر(16كلم)، ومن الغزوات كذلك التي يعتبر الصيد من أهم نشاطات سكانها[3]. تقوم النسوة بطهيه في الزيت بعد أن يضاف إليه الفلفل الأحمر، والملح، والكمون، والثوم، والطحين للصق سمكة بأخرى.
- الكفتة: تعد هي الأخرى من السمك الذي يقطع رأسه ويفرغ بطنه، ثم يقطع قطع صغيرة، يضاف إليها الكمون، الفلفل الأحمر، الكزبر(المقدنوس)، ويتم تكويره كويرات صغيرة، ثم تمرر فوق الطحين وتطهى مع البطاطا والثوم.
- أكلة الحلزون: يأكل سكان مدينة ندرومة الحلزون البني، والذي يسمونه بالغْلال أو البَبُوس، ولا يأكلون الحلزون الأصفر أو الكبير والمعروف عندهم باسم بُوكْرار.يترك الحلزون مدة 24 ساعة في

[1] - Ibid, Idem.
[2] – Alfred Bel, Op.Cit, p 27.
[3] - De Lorral, Op.Cit, p340.

الطحين (الفرينة)، ثم يغسل دون إخراجه من الصدفة، ثم يغلى في ماء مع الأعشاب (نكهة)، ويضاف إليه الفلفل الأحمر ويؤكل باستخدام إبرة[1].

3.2 اللباس:

- لباس الرجال:

يتميز سكان أهل ترارة بما فيها ندرومة وتلمسان بنفورهم من البرد، ويتضح ذلك من خلال كثرة لباسهم سواء أكان ذلك في الصيف أو في الشتاء. ففيما يخص الرجال من الطبقة الغنية؛ يرتدون في العادة خلال فصل الشتاء برنوس خارجي من قماش أزرق داكن، ونادرا ما يرتدون برنوس ثقيل من الصوف الأسود (الخديوس)أو البني (زوردعاني)، وتحته يرتدون برنوس أو اثنان من الصوف الأبيض.

ينزع سكان إقليم ترارة خلال فصل الصيف البرنوس الخارجي (الفوقاني) الثقيل ويلبسون برنوس خفيف أبيض، أمّا البرنوس الداخلي فيستبدل بجلابة من القماش أو الصوف، ويضعون بدل البرنوس الخارجي الحايك أو الكْسَا حسب لهجتهم المحلية؛ وهو عبارة عن قطعة نسيج كبيرة غير مخيطة تلق حول الجسم والرأس[2]، وغالبا ما يرتدي الجزائري حائكان، الداخلي من الحرير والخارجي من الصوف بدل البرنوس.

أمّا بالنسبة للملابس الداخلية؛ يرتدي التلمساني والتراري الكَشَّابة وهي قميص طويل مصنوع من القطن دون كمائم، يضيق ناحية البطن، ويعرف بالعْبَاية وهي من الحرير، وفوق العباية يلبس سترة من الشرشف أو النسيج تدعى الْرليلَة، وكذلك الصُدرة، وتسمى المَقْفولة، أو قميص من القطن (قمجة)، أو كنزة، وسروال عريض (سَرْوَالْ) يصل إلى الركبتين، وحزام على الخصر لربط السروال يسمى التشكا. هذا ويختفي السروال تحت الصُدرة والتشكا، ويتم ربط الخصر بحزام عريض من الحرير أو الصوف الملون (الْحْزَام)، أو يصنع من الجلد ويسمى (الحزامة).

وعلى الرأس يضع الرجال شبابا وشيبا العمائم أو الشاش الذي يغطى بالحايك، أمّا الأطفال فيضعون الشاشية، أو ما يسمى بالعَرّاقية (قلنسوة بيضاء)، وينتعل الرجال الأحذية أو الصباط باللغة الدارجة، وفي فصل الشتاء ينتعلون البَرْلا أو بْلارِي.

---

[1] - Gilbert Grandguillum, Op .Cit, p 94.

[2] – Edmond, Doutté Marrakech, 1er Fasc, Paris, p248-262.

أمّا عامة السكان فيرتدون في الغالب الجلابة المغربية المصنوعة من الصوف، أو الجلابات المصنوعة في تلمسان وندرومة، التي لا تكلف كثيرا، ويلبسون تحت هذه الجلابيب صدرة أو اثنان وكذلك قميص وسروال بني أو أسود من الصوف الخشن، ويرتدي آخرون بدل الجلابة معطفا قصيرا بأكمام طويلة وقلنسوة على الرأس تسمى كبّوط، كما يضعون الشاش، أو يلفون الحايك فوق الرأس ويربطونه بحبل مصنوع من وبر الجمال، والذي يلف عدة دورات حول الرأس[1].

- لباس النساء:

تغطي المرأة نفسها عند خروجها من رأسها إلى أخمص قدميها بقطعة نسيج عريضة وغير مخيطة من الصوف الرقيق تعرف كذلك باسم الكْساَ، أو الحايك الروبي، لكن يغطى الوجه كلية وتكشف عن عين واحدة فقط (حايك بوعوينة)[2]. وتحت الحايك تضع المرأة شاشية مخروطية الشكل على الرأس مائلة نحو اليمين، وتغطى بمنديل من الحرير المذهب بالنسبة للعرائس، أما النساء الأخريات فتضعن مناديل بألوان مختلفة تسمى البِتْصا، أما الفقيرات منهن؛ تضعن مناديل مصنوعة من الصوف أو القطن تعرف بـ: هِنْدية[3].

ويغطى باقي جسم المرأة بلباس مكون من الفريمْلة أو صدرة قصيرة دون كمائم تغلق بزر واحد من الأمام وترتدي النسوة تحت الصدرة العباءة (لَعْبَاية) مصنوعة من الحرير أو القطن، كما ترتدي النسوة الغنيات القفطان ذو الكمائم القصيرة[4] والشراشف الملونة من القطيفة والطرز الذهبي، وأحيانا تلبس النسوة قميص داخلي وسروال شبيه لما يرتديه الرجال.

تضع المرأة فوق العباءة حزاما مصنوعا من الجلد، مزين بخيوط ذهبية أو فضية، وفي الحفلات والمناسبات تضع حزاما باهظ الثمن مصنوع من الحرير ومزين بالذهب قد يصل ثمنه إلى 500 فرنك فرنسي قديم، وترتدي في أرجلها نعالا من المجبود، مختلف الألوان ومطرزة بالفضة والذهب[5].

هذا بالنسبة للحفلات والمناسبات الكبرى، أمّا في الأيام العادية؛ فترتدي النسوة فساتين طويلة وأغلبها وردية اللون، تتألف من قسمين القسم الأعلى شفاف يسمح برؤية القندورة الداخلية، وقد

---

[1] - Ibid, p 257.
[2] - De Lorral, Op. Cit, p330.
[3] – Gilbert Grandguillum, Op. Cit, p98.
[4] - De Lorral, Op. Cit, p330.
[5] - Ibid, Idem.

ظلت النساء الندروميات تضعن الحايك عند الخروج وتخفي وجوههن باختلاف مستوياتهن حتى المتعلمات منهن لم يحدن عن القاعدة، فإلى غاية السنوات الأولى من الاستقلال؛ كانت الطالبات الندروميات اللواتي درسن بوهران يضعن النقاب لدى عودتهن إلى ندرومة اتباعا لعادات المدينة وتقاليدها المحافظة[1].

3. الأعياد والاحتفالات الموسمية في مدينة ندرومة:

اعتاد الجزائريون وفي مناطق مختلفة بما فيها مدينة ندرومة إجراء طقوس احتفالية في أشهر معينة، ومن أبرز هذه الطقوس والاحتفالات التي يقوم بها أهل ندرومة نذكر:

1.3 النّاير:

تنقسم كلمة يناير، ذات الأصل البربري إلى قسمين: يَن وتشير هذه الكلمة إلى اليوم الأول وأيار وتعني السنة الجديدة، ويستند الأمازيغ في تقويم الناير إلى ما يسمى التقويم الفلاحي الذي يتبعه الفلاحون في زراعاتهم لضبط السقي والغرس، ويمتاز هذا التقويم بمظهر التكافل الاجتماعي. يحتفل بهذه المناسبة في 01 جانفي حسب السنة اليوليوسية[2]، أي 12 جانفي حسب التقويم الغريغوري[3]. ومدة الاحتفال بها غير محددة، وفي الغالب 03 أيّام، ففي مدينة تلمسان اليوم الأول للاحتفال يسمى يوم نفقة اللحم، واليوم الثاني بيوم الكرموس (التين)، والثالث بيوم رأس العام . ويأكل أهل ندرومة

[1] - Gilbert Grandguillum, Op. Cit, p98.

[2] – التقويم اليوليوسي أو الرومي هو تقويم فرضه يوليوس قيصر في سنة 46 ق.م. ودخل حيّز التنفيذ عام 45 ق.م. يحاول التقويم اليوليوسي محاكاة السنة الشمسية ويتكون من 365 يوما مقسمة على 12 شهرا استمر استخدام التقويم اليوليوسي في الكنائس الأورثوذكسية حتى القرن العشرين إذ قامت هذه الكنائس باعتماد التقويم اليوليوسي المعدّل عام 1923.

[3] – التقويم الغريغوري هو التقويم المستعمل في العالم الغربي وفي أغلب الدول العربية .يسمى هذا التقويم في أغلب الدول العربية بالتقويم الميلادي. العالم اليسيوس ليليوس الإيطالي هو من قام بإنشاء هذا التقويم في عام 1581 كبديل عن تقويم يوليوسي نسبة ليوليوس قيصر، ويسمى التقويم الغريغوري نسبة للبابا غريغوريوس الثالث عشر .تختلف عن التقويم اليوليوسي بثلاثة أيام في كل 400 سنة.

وتلمسان في اليوم الثاني من ينّاير رأس الخروف، ويقولون "**من يأكل راسْ ينّاير يبقى راسْ**"[1] بالإضافة إلى ذلك يعد أهل ندرومة طبق البركوكس (من الدقيق الخشن)، والثريد[2].

في يوم يناير يقوم أهل ندرومة وتلمسان بتوزيع الهدايا، وبخاصة للخطيبات؛ حيث يرسل الخطيب إلى زوجته المستقبلية سُلْطَاني من الذهب، ومنديل من الحرير، بالإضافة إلى قطانية أو سلّة مليئة بالفواكه المختلفة، وخبز بالبيض، وبدورها ترسل عائلة الخطيبة إلى عائلة الزوج؛ مائدة مزينة بالشراشف فيها فطائر وجرّة من العسل[3].

في احتفال يناير تبرز سمة التقارب بين مسلمي ويهود مدينة ندرومة ويتبادلون الهدايا فيما بينهم؛ حيث يقدم المسلم لليهودي سلّة من الفواكه المختلفة والفطائر، وبدوره اليهودي يقدم للمسلم طبق عجين يسمى ركاكاس؛ وهو عجين لا يحتوي على الملح والخميرة[4].

2.3 السابْعَة:

احتفال موسمي يقام في شهر الشتاء القاسي حيث تشهد المنطقة أيّاما من تساقط الثلوج التي تكسو قمم الجبال. تبدأ السابعة في 08 مارس حسب السنة الغريغورية الموافقة لـ24 فيفري حسب السنة اليوليوسية، وتدوم 07 ليال، و8 أيّام[5].

في واقع الأمر؛ أنّ أيام السابعة التي يحتفل بها كل سنة لا ترقى الترحيب من قبل السكان، فهي تعد أيام نحس وشؤم بالنسبة للسكان الذين توارثوا بعض الطقوس والمعتقدات لحماية أنفسهم من خطر الطبيعة، والرياح العاتية. كان أهل ندرومة وتلمسان في محاولة منهم للتقليل من هذه الريّاح يأخذون قطعة من القماش الأحمر يربطونها بعنق سلوقي (كلب) ثم يحررونه.

وتعرف كذلك بأيّام النحس؛ والنحس هي الريح الباردة، يقال في حكايات الناس أنها تصل إلى نار المنازل فتطفئها، كما ينتشر مرض برد الأصابع، فيكثر السكان في ندرومة وتلمسان من أكل الكعك

---

[1] – Edmond ,Destaing : "L'Ennayer chez le Béni Snous" , In R.A, Vol.49, 1905, p59.

[2] - Ibid., p63.

[3] - Ibid, Idem.

[4] - Ibid, Idem.

[5] – Edmond Destaing , " Fêtes et coutumes saisonnières chez les béni Snous", In **R.A**, Vol.50, 1906 p244.

الطازج لتفادي البرد[1]. يسمي أهل ندرومة وتلمسان الأربع الأيام الأخيرة من السابعة بالليالي الكُحل[2]، وتسمى كذلك عند الندروميين بأيّام الغَرْقَة، فحسب الرواية الندرومية فإن من يخرج فيها يغوص أو يغرق لا محالة في الطين المبلول[3].

3.3 النْطح:

كما أنّ هناك ريح آخر قوّي يسمى يوم النْطحْ، ويكون مع بداية أفريل، والمطر الذي يتساقط وقتها يكون فأل نحس أو شر عند السكان، لِمَا ما يسببه من خسائر في الزراعات وعلى رأسها الحبوب. وقد عبّر سكان ندرومة وتلمسان عن ذلك قائلين " **يارب هواها ولا ماءها**"، كما يقول أهل ندرومة: " **يا النْطَحْ بوالنطوح جِيتَكْ نطلب على سبّة الدّرية اَلاَّ الله حبْ**"[4]. وفي أيّام النطح لا يقوم الفلاحون بسقي حقول الشعير والأشجار، لاعتقادهم أن مطر النطح ويسمى **الناثْ** لغزارته قد يتلف ويحرق الأشجار، وهذا تقليد متبع لدى أهل ندرومة، الكاف عند قبيلة بني مسوس[5].

3.4 النِيسَانْ:

هي أيام مباركة، وتصادف 27أفريل إلى 03 ماي حسب السنة اليوليوسية، و09إلى 15ماي حسب السنة الغريغورية، والمطر الذي يتساقط فيها هو مطر مبارك، وفي أيام النيسان يخرج الناس رجال، ونساء، وأطفال وبنات رؤوسهم عارية ويتركونها تبتل بماء المطر وحسب اعتقادهم فإنّ هذه الأمطار تشفي الرأس من الأمراض، وتجعل شعر النسوة والفتيات يطول[6].

كما يتم إخراج الماشية كذلك سعيا وتركها تحت مطر النيسان؛ لكي تصير صوفها ناعمة ووافرة، وكذلك بقية الحيوانات كالأبقار والماعز، لكي تصبح سمينة وحليبها غزير. وفي وقت النيسان يتم جزّ صوف الماشية لكن بعد أن تتبلل جيدا، وهذا تقليد متبع لدى الندروميين الذين بدورهم يجمعون كميات من مطر النيسان ويصبون قطرات منه على ورق الحناء، فقيمته كقيمة ماء زمزم، ويحافظون

---

[1] - Ibid, p245.

[2] - M. Ben Cheneb**, proverbes arabes de l'Algérie**, Ed. Leroux, Paris, 1905, p18 & 286..

[3] - Edmond Destaing, " Fêtes et coutumes…", Op.Cit, p 247.

[4] – Ibid, p 249-250.

[5] – Marie Viroll-Souibès, **Rituels Algériens**, Ed. Karthala, Paris, 2001, p95.

[6]- Edmond Destaing, Op.Cit , p252-253.

على ذلك الماء لاعتقادهم أنّه يشفي العليل من المرض، بوضع الحناء المبلولة بهذا الماء على رؤوسهم، وهو نفس التقليد لدى أهل تلمسان، ومغنية، ووهران، ومستغانم[1].

وبما أنّ النيسان ومطره يكون في شهر أفريل؛ فهذا يعني أنّه سيكون مطرا قليلا، وقد لا يسقط بالمرّة؛ لذلك يسعى سكان ندرومة لطلب سقوط مطر النيسان بصعود فتاة إلى سطح المنزل وتخاطب السماء وتناشدها بسقوط المطر لكن الغريب أنّ الفتاة تهدد السماء ولا تناشدها! ونفس الطقوس كانت تتبع في تلمسان مع فارق واحد وهو ضرورة أن تكون فتاتان أختان بينهما فارق سنة واحدة[2].

يعد ماء النيسان مقدسا لدى نسوة ندرومة، وتلمسان، ووهران؛ فحسب اعتقادهن فهو يشفهن من العقم، وهو مادة لا يستغنى عنها في الخليط الذي يعدّه الطالب لهن؛ حيث يقوم بكتابة سورة سيدنا يوسف على صحن، ويملؤه بعدها بماء النيسان، والزيت وماء الورد، والزعفران، وبعض الحبر، ثم يقدم للمرأة فتشربهن على الفور وهي صائمة، وحسب الاعتقاد فهي ستصير أُمْ خلال سنة، كما كان الرجال في ندرومة، وفي وهران، وتلمسان يتناولون ماء النيسان قبل الذهاب إلى الحرب[3]. ومن التعابير التي تتداول لدى أهل ندرومة أيام النيسان قولهم:

"يا النِيسَانْ الناسْ تقُولْ لَكْ النيِسَان وأناَ نْقُولْ لَكْ زِينْ الإِحْسَانْ"؛ هذا القول كانت تقوله النسوة اللواتي تغيب عنهن أخبار أزواجهن مدة طويلة من الزمن.

أمّا الفتيات في ندرومة واللواتي كنّ ينشدن زوجا صالحا فيقلن: **" حَقْ هَذَا السّيدْ مَنَكْ مَا نَتْحَيَدَ، حَتَى تجْيِبْ لِي رَجَلْ جَيّدْ"**[4]

5.3 العَنْصَرَة:

يحتفل بهذه المناسبة في 24 جوان حسب السنة اليوليوسية، وفي 06 جويلية حسب السنة الغريغورية؛ تخرج يومها النسوة والأطفال إلى المنحدرات، لجمع النباتات مثل النعناع، وبعض الأغصان الجافة التي يمكن حرقها بكل سهولة. مدّة الاحتفال بالعنصرة غير محددة لكنها في الغالب 03 أيام،

[1] - Ibid, p253.
[2] - Ibid, p 255.
[3] – Ibid, Idem.
[4] - Ibid, p258.

يقوم خلالها سكان ندرومة، تلمسان، ومستغانم بحرق النباتات داخل منازلهم، وهو تقليد عرف لدى الفرس كذلك الذين كانوا يحتفلون به في شهري جويلية وأوت[1].

وحسب الروايات المتوارثة أنّ العنصرة، هي نسبة إلى ساحرة مصرية كانت تسمى سارة، وقد أدت أناس كثيرين بسحرها،وفي أحد الأيام انتقم منها أحد ضحاياها حيث قام بربطها بإحدى الأشجار وقام بحرقها وهو يردد" **يا رب ألعن سارة**"، ومنها صارت تعرف العنصرة.

لكن لدى التلمسانيين رواية أخرى مفادها؛ أنّ امرأة يهودية تدعى سارة ماتت في أحد أيّام الصيف الحارة، وكانت بدينة جدا فتحللت جثثتها بسرعة مصدرة روائح كريهة، فقرر الخليفة علي بن أبي طالب للإبقاء على نظافة المدينة بأن أصدر أمرا لكل السكان بالتبخير في الشوارع والمنازل، ومن يومها صار تقليدا متبعا، وهو نفس التقليد الذي يقوم به أهل ندرومة، ومستغانم،وسعيدة، والقلعة؛ حيث يقومون بإشعال النباتات في فناء المنزل، وتقوم العائلة كبارا وصغارا بالمرور فوقها سبع مرات[2].

خاتمة:

خدم التنوع العرقي سكان مدينة ندرومة الذين عاشوا في تآلف وانسجام رغم اختلاف الثقافة والدين، وبخاصة بين المسلمين واليهود؛ حيث مارست كل فئة عرقية عاداتها وتقاليدها وطقوسها الدينية، لكن ضمن الحدود التي رسمتها الفئة الإسلامية المسيطرة على المدينة، وقد اتضح هذا الأمر من خلال أسماء بعض الشوارع والدروب والتي كانت مقرا لبعض الأقليات وبخاصة اليهودية كشارع القناوة ودرب اليهود. وتخصيص مساحات وإقامات خاصة بالأقليات لم يكن يقتصر على مدينة ندرومة فقط؛ بل عمّ مدنا عديدة في الجزائر، ولم يكن من باب التمييز والإقصاء بقدر ما كان لأسباب دينية واجتماعية.

[1] - Ibid, p 262.
[2] - Ibid, p 264.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: باللغة العربية

1- ابن خلدون، **كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 11، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (د.ط) ، بيروت، لبنان،1971.

2- ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس، ج.4، الدار العربية للكتاب، ودار الثقافة، بيروت، ط.3، 1983.

3- أندري نوشي وإيف لاكوست، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، المطبوعات الجامعية، باريس،(د.ط)، 1960.

4- سعدون عباس نصر الله، **دولة الأدارسة في العصر الذهبي**، دار النهضة العربية، ط1987،1.

5- عبد الرزاق الصديقي، "اتفاقية لالة مغنية وملابساتها"، **بحوث**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مج 14، ع 09، المحمدية، 2001.

6- فوزي سعد الله، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، ج1، دار قرطبة، ط2،الجزائر، 2005.

7- محمد، رابح فيسة، **المنشآت المرابطية في ندرومة دراسة تاريخية أثرية**، مذكرة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2004-2005.

ثانيا: باللغة الأجنبية

8- Albert Bensoussan, **L'Échelle de Mesrod ou Parcours algérien de mémoire juive**, l'Harmattan, 1984.

9- André Bazzana , **Maisons d'Al-Andalus ; habitat médiéval et structures du peuplement dans l'Espagne orientale**, T.1, Casa de Velazquez, 1992.

10- André Chouraqui, **la Saga des Juifs en Afrique du Nord** , Paris, 1972.

11- Augustin Bernard, **Enquête sur l'habitation rurale des indigènes de l'Algérie**, imprimerie orientale Fontana frères, Paris, 1921.

12- Djilali Sari, **les villes précoloniales de l'Algérie occidentale Nedroma, Mazouna, Kalaa**, SNED, Alger, 1970.

13- Eliayhu Rafael Marciano, **une nouvelle Séville en Afrique du nord ; histoire et généalogie des juifs de Debdou (Maroc)**, Elysée, 2000.
14- Gilbert Grandguillume, **Nedroma l'évolution d'une médina**, E. J.Brill. Leiden, Netherlands, 1976.
15- Jacques Taieb, **sociétés Juives du Maghreb modern 1500-1900**, Maisonneuve & Larose, Paris, 2000.
16- le Tourneau, **les villes musulmanes de l'Afrique du Nord**, La maison des livres, Alger, 1957.
17- M Ben Cheneb, **proverbes arabes de l'Algérie**, Ed. Leroux, Paris, 1905.
18- Marie Anne, Thumelin-Prenant, **Nedroma1954, étude urbaine, acte de la table ronde organisée par le CRIDSSH** en Déc. 1983, Nedroma.
19- Paul le sept, "Nedroma cité berbère", In **Tlemcen et ses environs ; guide illustré de tourisme**, 2eme Ed, Editeur A. Thiriat, SD.
20- Pierre Devambez , **Histoire de l'Art**, Gallimard, 1961.
21- René Basset, **Nedromah et les Traras**, Ernest Leroux, Paris, 1901.
22- Victor Legrand, **Mémoire sur les richesses forestières de l'Algérie**, imprimerie et librairie administratives de Paul Dupont, Paris, 1854.
23- W Marçais, **le dialecte arabe parlé à Tlemcen ; grammaire, textes et glossaire**, Ed. Ernest Leroux, Paris, 1902.
24- William, Marçais & Georges, Marçais, **les monuments arabes de Tlemcen**, ancienne librairie Thorin et fils, Paris, 1903.

*- المقالات:

25- Alfred Bel : "Nedroma métropole musulmane des Traras", in **Bulletin de la société de géographie et -d'Archéologie d'Alger.** N°140, 1934.
26- Alfred Bel, "Nedroma", In : **Encyclopédie de islam; dictionnaire géographique et ethnographique et biographique des peuples musulmans**,T.4, librairie Klincksieck, Paris, 1934 .

27- Charles de Mauprix, "six mois chez les traras", In **le tour du monde**, librairie Hachette & C, Londres, 1889.

28- Charles Géniaux, " Nedromah ", In : **Revue des deux mondes**, Février 1922.

29- De Lorral , "Tlemcen", In **tour du monde**, S.E,1875.

30- E FGautier, " répartition de la langue berbère en Algérie ", In : **Annales de Géographie**, T.22, N° 123 .

31- Edmond Destaing , " Fêtes et coutumes saisonnières chez les béni Snous", In **R.A**, Vol.50, 1906.

32- Edmond Destaing , " L'Ennayer chez le Béni Snous" , In **R.A**, Vol.49, 1905.

33- Emile Janier ," Nemours et sa région" In **Bulletin de la société de géographie et d'archéologie de la province d'Oran** , T. 3&4 ,1949-1950.

34- J Canal ,"monographie de l'arrondissement de Tlemcen Nedroma et le pays des Traras", In : **BSGAO**, T.6, Avril-Juin, 1886.

35- J Canal., "monographie de l'arrondissement de Tlemcen Nedroma et les pays des Traras", In : **BSGAO**, T.7, octobre-décembre1887.